* الشيخ علي الطنطاوي الأديب والداعية الإسلامي الكبير وعُرْس الشهداء:

كتب الداعية الإسلامي الكبير الشيخ علي طنطاوي السوري معبرًا عن حزن الأمة المسلمة في سوريا، ومعبرًا عن حزن العالم الإسلامي كله، لما أصاب الدعاة على يد الطاغية جمال عبدالناصر في ديسمبر ١٩٥٤م[1].

يقول: «لو كان الأمر لي، لما جعلته يوم حداد بل يوم بشر وابتهاج، ولما صيرته مأتمًا بل عرسًا، عرس الشهداء الأبرار على الحور العين، ولما قعدت مع الإخوان أتقبل التعزيات بل التهنئات.

وهل يرجو المسلم إلا أن يموت شهيدًا؟ وهل يسأل اللَّه خيرًا من حسن الخاتمة؟ إني لأتمنى واللَّه شاهد على ما أقول، أن يجعل منيتي على يد فاجر ظالم، فامضي شهيدًا إلى الجنة، ويمضي قاتلي إلى النار، فتكون مكافأتي سعادتي به ويكون عقابه شقاؤه بي.

هذا هو العقاب الحق لا عقابك يا جمال ـ عقاب اللَّه الناصر لأوليائه، القاهر فوق أعدائه، الذي ستقف أمامه وحدك، ليس معك جيشك ولا دباباتك ولا زبانيتك ولا عتادك ولا سجونك وأعوانك، تساق إليه وحيدًا أعزل فريدًا كما قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

* وكما قال جل في علاه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

---

(١) وفيها حكم بالإعدام على الشيخ عبدالقادر عودة، والشيخ محمد الفرغلي، والشيخ يوسف طلعت، وهنداوي دوير، وإبراهيم الطيب ـ رحمهم اللَّه.

* وكما قال جل وعلا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٨-٥١].

يومها لا تستطيع إنجلترا أن تجيء معك ولا أن تدافع عنك ولا أمريكا.. فالملك للَّه العلي الكبير، والشهود عليك في نفسك لسانك ويدك ورجلك.

تقف بين يدي اللَّه أعزل منكس الرأس فيسألك عن هذه الدماء الذكية فيم أرقتها؟ وعن هذه الأرواح الطاهرة لم أزهقتها؟ وعن هاتيك النساء العابدات الطاهرات القانتات فيم رملتهن؟ وعن أولئك الأطفال البرآء فيم يتمتهم؟ وعن هذه الجماعة الداعية إلى اللَّه المجاهدة في سبيله لم شمّت بها أعداء اللَّه ورسوله؟

فإن كان عندك دفاع فأعده من الآن، لتدلي به أمام محكمة المنتقم الجبار، التي لا تحكم بالموت شنقًا، بل بالحياة الدائمة التي يصغر الشنق ألف مرة من عذاب لحظة منها.

* وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، يقوم لا ينفع حزب ولا أعوان، يوم تبدل الموازين، وتتغير المقاييس ويكون الفضل للفاضل والصدر للصالح، فيذل أعزة، ويعز الأذلاء، وتهوى ملوك وجبابرة، وتعلو سوقه يوم ينادي المنادي لمن الملك اليوم؟ للطغاه للبكباشية، لسادة في البيت الأبيض والكرملين؟ كلا كلا.. الملك للَّه الواحد القهار.

فعش مهما عشت، وسُد مهما سُدْتَ، فهل تقدر أن تجد لك طريقًا لا يمر بك على الحشر؟ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

هل تجد طريقًا لا يقف بك موقف الحساب؟ هل تعرف ملكًا غير ملك اللَّه تفر إليه كما يهرب المجرم السياسي من دولة أساء إلى حاكميها إلى دولة أخرى تحميه؟ وهل تظنها تدوم لك يا عبدالناصر؟ لو دامت لغيرك ما وصلت إليك.

❑ ولقد حكم مصر من قبلك فاروق، ومن قبله المماليك، ومن قبلهما فرعون وهامان؟ فأين هم اليوم؟ أين من بنى وشيد؟ أين من أحيا وأمات؟ أين من طغى وبغى وقال أنا ربكم الأعلى؟

لقد ساروا جميعًا في ركاب عزرائيل، تشيعهم لعنات المظلومين والمقهورين، حتى وردوا على من لا يضيع عنده مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، فاتق أيها الرجل دعوات المظلومين في الأسحار، فإنها السهام التي لا تخطئ واعتبر بمن مضى أن تصير عبرة لمن يأتي، وابك على نفسك قبل ألا تجد من يبكي عليك.

❑ أما أنتم أيها الشهداء فهنيئًا لكم فادخلوها خالدين، فلقد بدأتم بثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وشيعتكم في كل بلد من بلدان هذه الأرض المسلمة الملايين من لم يكن يعرفكم ولا تعرفونه، ولكن اللَّه ملأ قلوبهم جميعًا حبًا لكم وألسنتهم هتافًا بأسمائكم بوادر من تكرمته إياكم، النساء في الخدور والأطفال في المدارس، والتجار في الأسواق الذين فاروا من أجلكم وثاروا، فترك الطالب درسه والتاجر كسبه، وخرجوا حبًا فيكم وغضبًا لكم.

فإن ضن عليكم الظالمون بالماء، غسلوكم بالدموع الجواري، وإن بخلوا بالقبور دفنوكم في الأفئدة البواكي، ثم مشوا بكم في مواكب النور، التي لا تفتأ تتسلل وتتعاقب، سائرة في الزمان من لدن حمزة وجعفر وشهداء الفتح

في بدر، والقادسية واليرموك، ومن قتلى الطغاة الظالمين من أمثال الحجاج وهولاكو وتيمورلنك، إلى شهداء الجهاد في الجزائر وتونس والقوطة والقناة.

لقد سلككم اللّه في هذه المواكب التي بدأت يوم بدأت في الأرض دعوات الخير والإيمان على لسان نوح وهود وعيسى ومحمد صلى اللّه عليهم جميعًا.. إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها.

فهل من التكريم أبلغ من هذا من يا نساء الشهداء؟ ويا أولادهم؟ ويا من فجعه هذا الظالم بالزوج والأب وبالأخ والولد.

فيا إخواني ويا إخوتي ويا بناتي وأبنائي.. إن فقدتم الولد والأخ فإن كل مسلم على ظهر الأرض أخ لكم اليوم واللّه خير من الجميع ولقد حول بيتي مأتمًا الليلة البارحة صورة مقطوعة من مجلة، هي صورة العالم الجليل عبدالقادر عودة، يوم أن خرج من السجن وابنه يقدم له الحلوى، فقُصَّتْ على الصورة قصة مكتوبة بمداد الدمع قصة هذا الولد يسأل أمه أين أبي؟ فلا تستطيع أن تقول له أن أباك سجين وتداري دمعها وتغالب بكاءها، وتقول إنه مسافر فيقول: ومتى يعود؟ فتقول: يعود قريبًا يا حبيبي، فيرقب عودته، إن رأى طعامًا طيبًا قال سأحفظه لأبي، وإن ألبسوه جديدًا قال: إني ألبسه يوم يعود أبي، وإن بكت أخته الصغرى قال: لها اسكتي غدًا يعود والدنا.. ويوم جاء أبوه قدم له الحلوى وجلس على ركبته وأخته على ركبته الأخرى وهو يقبل هذا خدًا وتلك خدًا، ويقولون لماذا طالت الغيبة يا أبي؟ لا تسافر مرة أخرى.

فماذا يقولون الآن؟ وقد سافر مرة ثانية إلى حيث لا يعود المسافرون؟ وبماذا تجيب الآن إن سألاها أين والدنا ومتى يعود؟؟

هل تقول لهما أن أباكما الجليل المجاهد المناضل قد شنقه عبدالناصر.

فما ذنب هؤلاء يا عبدالناصر؟ وما ذنب هذه الأم؟ بل ما ذنب الرجل الذي قتلته وفجعت به هذه الأسرة؟ أكل ذلك لأنهم قالوا لمعاهدتك أنها عمل غير صالح؟ أو تعرف ـ لك الويل ـ بمن ضحيت؟

ضحيت بمن كان أعلم المسلمين على ظهر الأرض بالتشريع الجنائي في الإسلام ومن سنحتاج إليه غداً فلا نجده ولا نجد مثله فنبكي عليه حزنًا وأسفًا ويضحك عدونا شماتة وسروراً.

ضحيت بمن ألف الكتاب الجليل ـ «التشريع الجنائي في الإسلام»، وترجم إلى أكثر اللغات، وقرر تدريسه في الجامعات وتزاحم الجميع على تكريمه وبعثوا يطلبونه، فقيل لهم: إنه لا يستطيع أن يحضر حفلات التكريم لأن عبدالناصر كرم علمه وفضله بحبل المشنقة.

*** يا عبدالناصر جزاك الله بما تستحق:**

بسيد المجاهدين، الفرغلي.. بالشيخ الذي أفزع بريطانيا حتى جعل راديو فايد ينادي كل يوم ثلاث مرات، بأن من جاء برأسه فله خمسة آلاف جنيه.. فجاءهم برأسه عبدالناصر.

بالذي لاحت عمامته مرة للإنجليز فغلبت مدافعهم ـ وكان ذلك في ١٩٥٣م يوم اختفى الطيار البريطاني فأنذروا حكومة مصر بالويل والثبور إن لم يعد، وأمهلوها للتاسعة من صبيحة الغد وانطلق صلاح سالم يتكلم كلام المستطار اللب يبدئ ويعيد إلى قريب الفجر وكان الغد.. وحبست مصر كلها أنفاسها ترقب ما يكون بعد انقضاء الأمهال وكانت الساعة التاسعة ساعة الهول، فوقفت أمام دار محافظة القناة سيارتان: سيارة تحمل موفد الإنجليز بالتهديد والوعيد، وسيارة تحمل فرغلي ومعه نفر من الإخوان جاء يعلن نصرته للحكومة رغم ما كان بين الحكومة والإخوان المسلمين في تلك الأيام، فلما رأى الإنجليز الشيخ انطفأت الجمرة وسكن الغضب وذهب الوعيد لقد

كان الفرغلي أعدى أعداء الإنجليز فكافأه عبدالناصر في ذلك بحبل المشنقة.

*** يا عبدالناصر جزاك اللّه بما تستحق:**

لقد كانوا جميعًا من أئمة التقى ومصابيح الهدى، من الذين يقومون الليل يقطعونه تسبيحًا وقرآنًا، ويجاهدون في النهار يملأونه خيرًا وإحسانًا واللّه يأمر بتكريم الصالحين والعقل يقضي بإجلال العلماء والمصلحة توجب تشجيع العاملين.. والإنجليز يريدون غير ذلك كله.. فترك عبدالناصر ما يأمره به اللّه، ويقضي به العقل وتوجبه المصلحة، لما يريده الإنجليز، وأشهد لقد قرأت أخبار المشركين وتعذيبهم لمن آمن من قريش وما فعل أعداء الإسلام بالمسلمين، من الطغاة الجبارين كهولاكو وتيمورلنك وما صنعت محاكم التفتيش في الأندلس واليهود في فلسطين ـ في دير ياسين وقبيه ونحالين، فلا واللّه ما آلمني شيء كما آلمني ما صنع عبدالناصر وأعوانه بهذه النخبة الصالحة من المسلمين.

لأن أولئك كفرة فجرة، وهؤلاء يزعمون أنهم مؤمنون وأنهم يحجون ويلبون ولأن أولئك فعلوها كسبًا لدنيا يريدونها وهؤلاء فعلوها ليكسب الإنجليز الدنيا بها.

ولو كان من هؤلاء الشهداء قاتل أو مجرم وحاكموه محاكمة، ثم عاقبوه قصاصًا لما اعترضهم أحد، أما أن يكونوا من خيار المؤمنين وأن يكون ذنبهم أنهم أعدوا السلاح للعدو بعلم رجال الحكومة وأنهم دُرِّبوا على القتال والتدريب واجب على كل مسلم، وأنهم أعلنوا رأيهم في المعاهدة وحق الرأي حق من حقوق الإنسان، وأن تحاكمهم هذه المحاكمة وأن تكون المحاكمة بهذا الأسلوب وأن يكون الحكم على هذه الصورة فهذه قصة فظيعة فظيعة قصة بلغ من فظاعتها أن أجمع الناس على اختلاف البلدان والألسنة والألوان والمذاهب والأديان على استنكارها.

إن الفارس من يبارز خصمه في الميدان، وينازله مسلحًا، أما الذي يبدي البطولة والخصم أعزل مقيد، ويبديها وحوله الرهط من الأنصار وخصمه مفرد، فليس من الفروسية في شيء.

إن هولاء الإخوان قد مضوا شهداء أبرار ونالوا مجد الدنيا وثواب الآخرة.. فارقبوا أنتم ماذا تنالون في دنياكم وأخراكم.

وبعد.. فهذا هو العالم الإسلامي يلبس كله ثوب الحداد ويجلس للعزاء، ما خرج على هذا الإجماع إلا النفر الذين غضب اللّه عليهم من أعوان الظالم، ومن مشايخ السوء، أصحاب ذلك البيان الذي جشى كذبًا وافتراء وتحريفًا للآيات عن مواضعها.

والثورة كالقطة تأكل أبناءها.. وهذه ثورة فرنسا شاهد على ما أقول، وهذه أحداثها تنطق بها كتب التاريخ: الذي جاء بالمقصلة قطع رأسه بها، والذي نصب المشانق علق عليها، والذي أوقد النار كان لها حطبًا، ولنار الآخرة أشد نكالاً وأبقى.

ولكن الثورة الفرنسية لم تقتل أفذاذ العلماء ولم تعرض لدعاة الخير وكانت ثورة أمة على عصابة آثمة.

*** أما أنتم أيها الإخوان.. فاعلموا أن المحن تدريب:**

وكلما تقدم الجندي خطوة، صعب التدريب عليه وقسا فإذا وصل إلى أقصاه بلغ غاية القوة وصار جنديًّا كاملاً، وأنتم بلغتم ذلك اليوم حين امتحنتُم الامتحان الأكبر امتحان الدم، ونجحتم، نجحتم واللّه، ولم تزعزع المشانق إيمان هؤلاء الإخوان، ولا هزّت أعصابهم ولقد قابلوا الموت مقابلة انحنت إكبارًا لبطولتها وعظمتها هامات الرجال في كل مكان.

والعاقبة لكم، إنها واللّه لكم، لأنكم تمشون على هدي الإسلام، المستقبل لكم فلا تزعزعكم الإحداث ولا تفتنكم عن إيمانكم.

وبعد فيا أهل الشهداء.. الصبر.. الصبر.. إن دموع العالم الإسلامي كله قد مازجت دموعكم وقلوبهم جميعًا قد قاسمت بالأسى قلوبكم، ولكم أخ لكم وصديق ومأتمكم صار مأتم دنيا الإسلام كلها.. واللَّه معكم خير من الجميع.. ولن يفلت سفاح مصر من الانتقام.. والمنتقم هو اللَّه»[1].

*** الشيخ القرضاوي صاحب الملحمة النونية:**

هو صاحب المواقف المشكورة في الدفاع عن قضايا المسلمين، وكل يؤخذ من قوله ويترك، وله القلم السيال في تصوير مآسي المسلمين، وهو صاحب النونية وهي ملحمةٌ ألفت داخل السجن الحربي في القاهرة عام ١٩٥٥م، هذه الملحمة التي نقدمها بين يدي القارئ ـ تحكي قصة سجين قضى نحو عشرين شهرًا في سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م، في السجن الحربي. إنها تصويرٌ بسيطٌ لبعض ما قاساه المسلمون الذين عُذبوا في هذا السجن الرهيب.

لقد ألف الشاعر هذه القصيدة، أو الملحمة، في ظروف عصيبةٍ داخل السجن الحربي؛ حيث لم يكن يسمح لأي معتقل بأن يبقي معه ورقةً أو قلمًا؛ ولهذا كان الاعتماد في تسجيلها عقب تأليفها على حفظ الصدور، لا على كتابة السطور؛ فقد حفظها عددٌ كبيرٌ من الشباب داخل السجن، فكانوا لها رواةً، ونقلها بعضهم خارج مصر بعد مغادرة السجن.

فلنقرأ هذه الوثيقة التاريخية التي سجلت، بأمانةٍ ودقةٍ، جزءًا أسود من جرائم الطاغية ضد الحركة الإسلامية[2].

ثَارَ القَرِيضُ بِخَاطِرِي فَدَعُونِي ... أُفْضِي لَكُمْ بِفَجَائِعِي وَشُجُونِي

فَالشِّعْرُ دَمْعِي حِينَ يَعْصِرُنِي الأَسَى ... وَالشِّعْرُ عُودِي يَوْمَ عَزْفِ لُحُونِي

(١) «عرس الشهداء» لعلي الطنطاوي (ص١٩ ـ ٢٨) ـ دار المنار الحديثة.

(٢) «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث» الجزء الثالث، أحمد الجدع، حسني جرار. ط٤ ـ مؤسسة الرسالة، (ص١٨ ـ ٣٦).